الافتتاحيّة

الكنيسة الأرمنيّة ببيبليّة حتى الدم!

أ. أيوب شهوان

عندما نذكر الكنيسة أو الأمّة الأرمنية، تحضر فوراً إلى البال، وبطريقة عفوية، آلامُ هذا الشعب العظيم الناتجةُ عن تعرّضه للاضطهاد الشديد، والسبب كان دوماً الأمانةَ للمسيح، التي مَن اعتنقها مبدأً قَبِلَ بذات الفعل كمعلمه أن «يُساق كل يوم كشاة إلى الذبح دون أن يفتح فاه!» لا عجب في أن تكون الكنيسة أو الأمّة الأرمنية على هذا المستوى من الإيمان والثبات والحب، لأنها والكتاب المقدس في حلْفٍ راسخ تواصل على كرّ الأجيال والعصور.

في الحقيقة، تحتل البيبليا مركز الصدارة في حياة الشعب الأرمني المؤمن، الأمر الذي أتاح له، ولحضارته، وثقافته، ولاهوته، وفنّه، أن يَنمُوا ويتكدّسوا كنوزاً عظيمةً، من جهة، وأن يتخطّى آباءُ، وأبناءُ، وأمهات، وبناتُ هذه الأمّة النبيلة العذاباتِ والاضطهاداتِ ليتمسّكوا ، في مختلف الحقبات، بإرادة الحياة الحرة والكريمة، من جهة ثانية.

في كل هذا لعبت البيبليا دوراً حاسماً في حياة الشعب الأرمني، إذ مدّت الأجيالَ المتعاقبةَ بنماذج نبوية ورسولية مدويّة، وبصورة البقية الباقية التي لا تجثو إلاّ لله، وبقصص قوافل الشهود والشهداء الذين أحبّوا إلى الغاية؛ لكن وجه «عبد الله المتألّم» فَعَلَ فعلَه العميق في النفوس الوفيّة، خاصة عندما توضّحت الصورة في شخص المسيح يسوع الذي جذب إليه الذين أحبّوه كما سبق وأحبّهم هو أولاً.

لم تغب البيبليا عن الفن الأرمني في مختلف مراحله وتطوراته، إذ استوحى الفنانون الأرمن العهد الجديد بنوع خاص، لا بل قُلْ إنهم قرأوا البيبليا بالرسم والصورة، وجعلوا من فنّهم مدرسةَ إيمان، تجلّت ثماراً مرضيّةً للرب تلذ لقلبه القدوس.

كذلك هو الأمر بالنسبة إلى الموسيقيين الذين اختاروا من البيبليا أجمل النصوص، فحوّلوها إلى أناشيد رتّلتها الأجيال المتتالية، وحفظت هكذا عن ظهر قلب نصوصاً بيبلية عديدة ومتنوعة.

وماذا نقول في التراث الآبائي الأرمني البيبلي؟ لقد ترجم الأرمن تفاسير آبائية من الكنائس الأخرى، السريانية واليونانية وغيرهما، ووضع آباء عديدون من الكنيسة الأرمنية تفاسير للبيبليا من نتاجهم المحلي.

ومن الضروري أيضاً التذكير بأن الألفباء الأرمنية بالذات قد وُضعت في القرن الخامس خصيصاً لتكون هناك ترجمة مكتوبة للبيبليا في الأرمنية.

إن العدد الكبير من المخطوطات البيبلية والتفسيرية الأرمنية لكلمة الله، لَيشهد على القدر الكبير الذي أعطته الكنيسة الأرمنية لهذه الكلمة.

مما تقدم، يمكننا أن نؤكد أن التراث البيبلي الأرمني، الذي تواصل وبدون انقطاع في الإيمان والثقافة الأرمنيَين، جعل من الشعب الأرمني، إذا جاز التعبير، شعباً بيبلياً مميزاً.